تأملات في تاريخ الرومان: أسباب النهوض والانحطاط

المؤلف: مونتسكيو

تعريب: عبد الله العروي

الناشر: المركز الثقافي العربي.

الدار البيضاء

عدد الصفحات: ٢٦٧

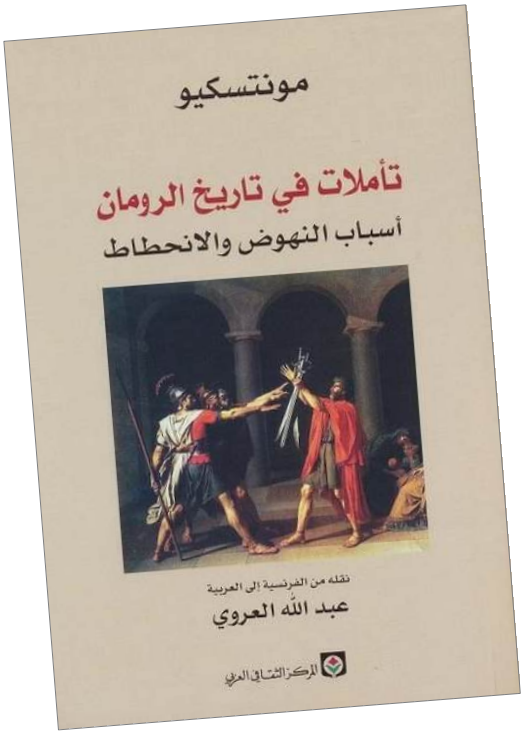

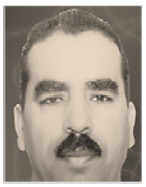

عرض

عبد الله إدريس الداودي

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

طنجة – المملكة المغربية

مقدمة

صدر عن دار النشر "المركز الثقافي العربي" في الدار البيضاء كتاب جديد من (٢٦٧) صفحة من القطع المتوسط تحت عنوان "تأملات في تاريخ الرومان: أسباب النهوض والانحطاط"، للمفكر الفرنسي "مونتسكيو" نقله إلى العربية المفكر المغربي الكبير عبد الله العروي، عن النص الأصلي باللغة الفرنسية، والصادر سنة ١٧٤٨.

على عكس ما قد يتبادر إلى الذهن أن الكتاب موجه إلى فئة من المختصين في التاريخ الروماني القديم فحسب، بل إنه كتاب فكري بحمولات تاريخية، يجيب عن أسئلة حديثة، تشكل مضمون الانشغال اليومي للفاعل السياسي والثقافي العربي اليوم، إنه تشريح عميق وتحليل هادئ للواقع العربي المعاصر عبر تقنية الكتابة بالمثال والرمز، يجد فيه القارئ النبيه ثلاث أزمنة متداخلة هي: زمن الرومان، وزمن مونتسكيو، وزمن العروي، كما هو ظاهر و مضمر في كل الكتاب، بين متن، وهوامش، وفي ظرفية إخراجه في هذا الوقت بالذات.

ويمكن الإشارة إلى؛ أن لهذا الكتاب علاقة ما بالإصدارين الأخيرين للعروي، "السنة والإصلاح"، و "من ديوان السياسة"، الأول حوار داخلي يروم من خلاله العروي ترتيب أفكاره عن مسألة العقيدة والتدين وهو في عقده السابع، والثاني كان فيه العروي مباشرًا إلى أبعد الحدود عندما انتقى من ديوان السياسة بعض الإشكاليات الكبرى المؤسسة للحقل السياسي العربي وفصل فيها القول، شارحًا ومدققًا ومقترحًا لحلول كثيرة، ولعل هذا المشترك يظهر في كون العروي يشكل بكل صدق ذلك المثقف العضوي المشتغل بالتاريخ والمهموم بقضايا مجاله المحلي (المغرب) أو الإقليمي (الوطن العربي).

إننا أمام كتاب انتقاه العروي بكل عناية ليقدمه للقارئ العربي، وله في ذلك حكمة بليغة إن لم نقل عدة حكم دقيقة، فهو عندما كان يوجه طلبته من المؤرخين إلى الابتعاد عن كتابة تاريخ المغرب بالطريقة التقليدية، كان يعرف جيدًا لما في منهج المقارنة مع الغير من أهمية علمية، وهو اليوم يبرهن لهم عمليًا، من خلال كتاب وكاتب يعتبر من المنابع الأولى للفكر السياسي والدستوري في أوربا في القرن الثامن عشر.

الكتاب: تقديم المترجم

المؤلف: في البداية قدم العروي حياة المؤلف واكتفى بالتوقف عند النقاط التي تساعد على هم المنحى الفكري وأسلوب مونتسكيو في الكتابة، فأشار إلى أن مونتسكيو عاش مرحلة انتقالية: نهاية حكم لويس الرابع عشر التي اتسمت بالتزمت والاضطهاد الديني والانتكاسات السياسية والعسكرية. تلقى مونتسكيو تعليمًا علمانيًا، اقترن بفتاة بروتستانتية في وسط كاثوليكي... وبذلك شكل مونتسكيو نموذج عقلية القرن الثامن عشر الواسعة الاطلاع، المتحررة الفكر، والمتنوعة التجربة... وشكلت مؤلفاته أقوى دفاع عن الحرية في وجه الاستبداد.

لمتأملات: أهمية التأملات عند مونتسكيو لا تتجلى في دقة المعلومات بل في عمق التحليل، والقدرة على استخلاص العبر، خاصةً وأن هذه التأملات شكلت جزءًا من مشروع أوسع، تجسد لاحقًا في كتاب "روح القوانين".

المقارنة: التجارب التي عاشها المؤلف والمؤهلات التي يتوفر عليها، وقدرته على جمع المتناقضات، توفر له قدرة خارقة على المقابلة، والموازنة، ومعاكسة الموروث التي تجلت بشكل في كتابه الأول "الرسائل الفارسية".

المراجع: اعتمد المؤلف مراجع متنوعة أتاحت له التوسع في المقارنة بين النظامين الغربي (الجمهوري) والشرقي (الملكي).

مونتسكيو وأقرانه: يقارن العروي بين مونتسكيو وأقرانه مكتفيًا بنموذجي ميكيافيلي وابن خلدون، يركز الأول على كيفية تأسيس

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الدول كي تدوم وتستمر، ويقارن بين النظامين الجمهوري والأميري، بينما يركز الثاني على استخلاص العبر معتمدًا على طرق النظر والتمحيص ومقارنًا بين البداوة والتحضر، ممهدًا بذلك للسوسيولوجيا كعلم مساعد على قراءة التاريخ. **وتساءل المترجم:** ماذا لو أتاحت الأقدار لابن خلدون ما أتاحته لمونتيسكيو على مستوى المراجع؟

الجبرية والحرية: يذهب مونتيسكيو إلى أن أسباب نهوض روما هي نفسها التي أدت إلى الخلل والانحطاط ثم الانهيار، فكل دولة بالمعنى الواسع تنمو لأسباب موضوعية، ثم تنحط وتنهار لنفس الأسباب التي لم تعد توافق الظروف التي عملت هي على استثنائها. فالانهيار يرتبط عند مونتيسكيو بأعمال البشر الخارجة عن إرادتهم، فسقوط الجمهورية الرومانية لو لم يتم على يد يوليوس قيصر لتم على يد زعيم آخر. ويقارن العروي حتمية مونتسكيو بجبرية ميكيافيلي وابن خلدون ليعتبر أن إصلاح الدولة يصبح مستحيلاً عندما تظهر عليها ملامح الانحطاط، فالقدر مجسد في الذات وليس طارئًا، وميكيافيلي بدوره يعتبر أن الإجراء (الإصلاح) يؤخر الانهيار ولا يمنعه، وابن خلدون يجعل للدولة عمر لا تتجاوزه.

الفصل الأول:

أولويات روما وحروبها

كانت روما، في بداية أمرها عبارة عن مجموعة من الملاجئ، لربط الحيوانات، مخازن لحفظ الغلال ومساكن حقيرة متباعدة، سكانها يمضون وقتهم بين الحقل، والميدان، والتخاطب، والتشاور، بدأت عظمتها مع عهد الملوك فقامت قوتها على: الشدة والاستماتة في القتال، واقتباس أساليب ووسائل العدو إذا كانت أنجع من أساليبهم، واعتبار الاتفاقات مرتبطة بشخص ولا تلزمهم مع مَنْ يأتي بعده، وفي شأن علاقة الحاكم بالمحكوم فإن: الرئيس عند تأسيس الدولة يكون هو الذي يشكل المؤسسة وفي ما بعد، المؤسسة هي التي تشكل الرئيس، فالشعب المغلوب يستعيد حريته بمجرد موت مَنْ تغلب عليه، ويتحمل ثقل الضرائب ويصبر على مضاعفتها، إلا أنه عندما يهان (اغتصاب الفتاة من طرف ابن الحاكم) فإنه يرتقب ما هو أسوأ في المستقبل. فالشعب الأبي، الشجاع، المقدام، المطوق وراء الأسوار، يصبح بين اختبارين، إما الثورة والتحرر أو الخضوع والاستسلام، وحكم التاريخ كحكم المجتمع كلاهما خاضع لتقلبات الدهر، فالخزي لحاكم اضطهد حزبًا أو حاول استئصال خرافة وأوهام (الدين . الكنيسة).

الفصل الثاني:

الرومان وفن الحرب

بعد وصفه لقوة الجندي الروماني وتدريبه المسترسل وصرامة قادته، قارن مونتسكيو بينه وبين جندي عصره الذي اعتبره ينتمي لحثالة الشعب، قد يفر من الخدمة العسكرية، ولا يحارب باطمئنان في حين أن الرومان يشعرون بأنهم ولدوا ليسودوا.

الفصل الثالث:

السر في توسع روما

عمل الرومان عند تأسيس الدولة على توزيع الأرض بالتساوي لوحدة شعب قوي ومجتمع في غاية التماسك والانتظام، فمصلحة كل محارب أن يدافع عن وطنه بكل ما أوتي من قوة. أما في مجتمع مونتسكيو فالملكية في يد قلة تعيش حياة البذخ والرخاء، فالمساواة في الملكية العقارية هي سبب بروز روما وخروجها من وضعها الحقير.

الفصل الرابع:

(الغال – فيروس- مفاضلة بين روما وقرطاجة- حروب هنيبل)

١- أمة الغال رغم أنها كانت تتطلع للمجد وتستخف بالموت، إلا أنها كانت تتوفر على سلاح رديء غير قادر على مواجهة أسلحة الرومان.

٢- تعلم الرومان من حروبهم ضد فيروس ملك ايبيريا حرب الخنادق وانتقاء المعسكرات وحروب الفيلة.

٣- كانت قرطاجة سباقة إلى الرفاهية والميوعية والانحلال، فالمناصب تباع وتشتري ولا يخدم الفرد العموم إلا مقابل مكافأة من الدولة، فإهمال الصالح العام يضر بالجمهورية ويقربها من الانحلال أكثر مما يضر بدولة الطاغية. وبالمقابل كانت حظوظ الناس في روما متساوية وحياة التقشف هي الغالبة، وفي حالة الحرب تتوحد مصالح الجميع.

٤- صمدت روما رغم توالي هزائمها ضد هنيبعل ولم تجنح للاستسلام، رغم أنها على حافة الهاوية، فعندما تنكسر أمة لا تضرها الخسائر بقدر ما تضرها أثر الهزيمة المعنوية.

الفصل الخامس:

بعد هزيمة قرطاج

فرض السلم على قرطاج، من سيد يأمر، لا من عدو يفاوض، وأجبرت على إعطاء رهائن، وتسليم مراكبها وفيلتها، وحرم عليها أن تحارب دون موافقة الرومان، الذين عززوا قوة عدوها مسينيسا. عندما تقوم حرب بين شعبين عظيمين يخطئ من يظن أن السلامة في لزوم الحياد، لم يكد الرومان ينتهون من قهر قرطاج حتى أعلنوا الحرب على الدنيا بكاملها بغية استعبادها. أما في سوريا ومصر فإن أمراءهما كانوا على رأس رعيتين متميزتين من أبناء الفاتحين ومن بقايا الشعوب المغلوبة، فمملكة سوريا غلب عليها البذخ والتبرج والميوعة، وامتد من القصر إلى الشعب والجيش عندما قرر حاكمها مواجهة الرومان لم يتصرف بما تفرضه الحكمة، وأخطأ عندما ظن أن الرومان سيتركونه وشأنه. أما مصر التي كانت تملك كل المؤهلات لتكون قوة عظمى، إلا ما اتصف به حكامها من قسوة وجبن وبلادة، وجري وراء أخس الشهوات، فمقتتهم الرعية، واحتقرتهم، إلى أن أشرف سلطانهم على الانهيار في عدة مناسبات، لولا حماية الرومان لهم، فالسلطة في مصر مهددة باستمرار لا أمان لأمرائها في الداخل ولا نفوذ لهم في الخارج.

الفصل السادس:

السياسة التي اعتمدها الرومان لاستعباد سائر الشعوب

انتصب الرومان قضاة لمحاكمة الشعوب، ضمانًا لوفاء مَنْ يخشونه قليلاً ويأملون منه الكثير، وإضعاف مَنْ يخشونه كثيرًا ويأملون منه القليل، يستخدمون الحليف لقتال العدو، ثم ينقلبون عليه ويدمرونه، كلما واجهوا عدة أعداء صالحوا الأضعف الذي يسعد بإهماله وإرجاء ساعة هلاكه. كان الرومان يلحقون بأعدائهم أضرارًا تفوق كل تصور، كانوا يختارون دائمًا متى وكيف ومَنْ يحاربون، يخاطبون الآخر بلهجة الآمر، لم يبرموا يومًا صلحًا ليدوم، يفرضون شروطًا تؤدي إلى دمار الدولة التي تقبلها. إذا هادنوا أميرًا أخذوا أحد أبناءه أو إخوته رهينة عندهم، إذا ثار أمير أو شعب على سلطانه الشرعي منحوا للثائر لقب حليف الشعب الروماني ومنحوه

دورية إلكترونية. محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

الحصانة على أن الحليف يعني في الحقيقة الخضوع والانقياد لروما. وإذا وافقوا أن تظل مدينة ما حرة قسموا أهلها إلى حزبين أحدهما متشبث بتقاليد البلد والآخر مقتنع بما تقرره روما، فتظل المدينة حرة بالاسم فيرسلون مبعوثًا يرغم الحزبين على المصالحة. وكلما طرأ نزاع في دولة سارع الرومان لإعلان موقفهم على الفور ونصبوا أنفسهم أوصياء بصفتهم حماة الأرض كلها، إلى حد أن سائر الشعوب والملوك أصبحوا رعايا روما. فما خدم روما هو الهيبة التي زرعتها في قلوب الناس، هيبة أفحمت الملوك وجعلت منهم أغبياء، يتحاشون حتى التحديق في عيون الرومان.

الفصل السابع:

صمود ميثريدات في وجه الرومان

ميثريدات هو أحد ملوك القوقاز تمكن من إرهاق روما باستغلال خصومها السياسيين والعسكريين المطرودين و تقنياتها الحربية.

الفصل الثامن:

الانقسامات التي مزقت دائمًا روما

في الوقت الذي كانت روما تستعبد الشعوب، كانت تشكو من حرب داخلية خفية، فقد استأثرت الأرستقراطية (الأشراف) بجميع المناصب السياسية، فتأججت نقمة الشعب، الذي أصبح يحب الحرية، حبًا غير محدود، و هو لا يملك منها شيئًا. فأخذ يختار الحكام من صفوفه، ويقاسم الأشراف المناصب، فتحول الحكم فيها تدريجيًا من أرستقراطي إلى جمهوري. أسعد جمهورية هي التي تختار زعمائها دون اعتبار النسب، إذ الشعب لا يغار من سلطة يقلدها مَنْ يشاء ويسحبها منه متى شاء، فغضب الشعب أدى إلى استمرار القلاقل وأخذ يهاجم الخاصة ويحاكم المصرين على معاكسته. فالحكومة الحرة هي الحكومة التي يكتب لها البقاء إذا ضمنت دستورها آليات تقويم ذاتي.

الفصل التاسع:

عاملان سببا انهيار روما

لما توسعت روما إلى ما وراء الأراضي الإيطالية، ومنحت حقوق المواطنة الرومانية، تشكلت فيها نزعة إلى الحرية وكراهية الطغيان، فتفرقت شعوبها إلى شيع ولم تعد تكون وحدة عضوية (لا يخضعون لنفس الحاكم، لا يعيشون داخل نفس الأسوار، لا يتقربون لنفس الآلهة...)، قوانين روما باتت عاجزة عن إدارة شؤون الجمهورية فالقوانين التي ساعدت دولة صغيرة على أن تنمو لا تلبث أن تتحول إلى قيود عندما تكبر، لأن تلك القوانين كانت تستهدف عظمة الشعب لا حسن إدارته.

الفصل العاشر:

عن فساد أخلاق الرومان

العقيدة الدينية تحمي الأخلاق وهي عند الرومان لا تنفصل عن الحمية الوطنية، وعندما نمت الدولة نمت معها ثروة الأفراد، ومن ملك ثروة ملوكية لا يتصرف تلقائيًا كمواطن صالح، فظهرت خيانة العهد وشهادة الزور... ومن فسدت أخلاقه وهو غني يزداد فسادًا عندما يصبح فقيرًا، قال المؤرخ الروماني سالوست "تشكل جيل عاجز عن أن يملك وناقم على مَنْ يملك".

الفصل الحادي عشر:

سولا بومبيوس وقيصر

نصب الشعب رجالاً تزايدت مهماتهم واتسعت فاستأثروا بأهم القضايا والسلطة. **سولا:** أطلق العنان للجيش، فأوهن روح الانضباط وعود الجنود على النهب، وتكرم عليهم بعقارات المواطنين، وابتدع نفي الخصوم، وقتل مَنْ تجاوز حدود منفاه، وبذلك انعدم الوفاء للجمهورية، وفي هذه الظروف تنازل سولا عن سلطة الديكتاتور واكتفى بالعيش تحت سلطة القوانين التي سنها. **بومبيوس:** ألغى قوانين سولا وسعى أن يكون ديكتاتورًا عبر رضى الشعب الذي لا يتردد في تكليفه بأمور الحرب والسلم، غير أن هوى الشعب لا يستقر على حال، ارتكب بومبيوس ثلاث أخطاء قاتلة: اعتمد الرشوة في الانتخابات. واعتمد على الغوغاء في التشويش على الولاة. وتحالف مع قيصر وكاراكوس. **قيصر:** حاول دفع الرومان إلى تتويجه، فبدأ بجس النبض بأن أوعز لأحد أعوانه بوضع تاج على رأسه خلال حفل ولم يهلل الحضور فتظاهر بعدم الرضى، ثم أعاد الكرة، وتحملوه كطاغية، ثم سرعان ما تآمر عليه مناصروه عندما شاركوا الناس الشعور بالضيم وقتلوه.

الفصل الثاني عشر:

روما بعد اغتيال قيصر

أُغتيل الطاغية، ولم تعد الحرية إلى روما، لأن المتآمرين لم يخططوا للنتائج فاجتمع مجلس الشيوخ، ليهادن أتباع قيصر بالمصادقة على قراراته قبل اغتياله، وليعفو عن المتآمرين. وسرعان ما انطلق الصراع بين الطرفين وخسر المتآمرون المعركة، وبادروا بالانتحار، وهي وسيلة مستشريه بين الرومان للأسباب التالية: انتشار الفلسفة الرواقية الداعية إلى الانتحار - استرقاق المغلوب وعرضه في موكب الغالب خلال حفل النصر - تحترم جنازة المنتحر وتنفذ وصيته - أنفة خاصة بالرومان - جنوح طبيعي إلى تشخيص دور بطولي - يُسْر التنفيذ.

الفصل الثالث عشر:

أوغوست

تعمد أصحاب الأطماع في ظل الحكم الجمهوري، بث الفوضى، وأنقذوا كل مَنْ تطاول على السلطة العمومية من العقاب، وأبطلوا كل قرار يحد من فساد الأخلاق وألغوا كل هيئة تضمن الأمن والاستقرار وعمموا الرشوة وشوشوا على الانتخابات، وبذلك انهارت سلطة الشعب كليةً، وكانوا يهدفون إلى تنفير الشعب من صلاحياته وضخموا مساوئ النظام حتى يقتنع العموم بضرورة الاحتماء بهم وتفويض الأمر لهم، لكن عندما استقل أوغوست بالحكم عمل على إعادة النظام ليعترف الجميع بمحاسن الاستبداد علمًا أنه كان يخشى تمرد العسكر لا مؤامرات المواطنين، واضعًا دائمًا بين عينيه مأساة قيصر. احتاط كثيرًا فلم يقبل لقب ديكتاتور، وأعلن احترامه الدائم للجمهورية، إلا أنه اهتدى إلى حكم مزيج وملتبس أرستقراطي، مدني، ملكي وعسكري.

الفصل الرابع عشر:

تيبار(يوس)

تمسك تيبار بقانون الحرمة وهو قانون يعاقب بمقتضاه كل مَنْ مس، بشكل أو بآخر، هيبة الشعب الروماني، فهو يعاقب على الأفعال والأقوال والإشارات وحتى الهواجس. واستعان تيبار بقضاة

دورية إلكترونية. محكمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

على أتم الاستعداد لإدانة كل مَنْ يتهمهم الأمير، وسايره الشيوخ ورضوا بالدناءة والطاعة العمياء، وتحولوا إلى مخبرين عن زملائهم.

الفصل الخامس عشر:

القياصرة من كايوس كاليغولا إلى أنطونين(وس)

بادر كاليغولا إلى إلغاء كل قرارات تيبار، فالأمراء الأشرار يبدؤون بما انتهى إليه الأخيار، بمرورهم من سلطة القانون إلى حكم الهوى، فالطغيان الذي اتسم به سلوك القياصرة يعود إلى طبع متأصل في الرومان، الشراسة غالبة على أخلاقهم إذ خلت الحياة الاجتماعية من الشفقة.

الفصل السادس عشر:

حالة الإمبراطورية من أنطونين إلى بروس

انتشرت في المجتمع الروماني نحلة الرواقيين، فظهر في روما أفضل قياصرتها حكمة وشجاعة وفضيلة، وسرعان ما توج وحوش في صورة بشر، فتقاتل على منصب الإمبراطور عدة أمراء وعمت الفوضى، فتوغل البرابرة في جميع أقاليم الإمبراطورية، ولولا صد سكان روما هجوم البرابر، وهلاك أسطول القوط غرقًا وجوعًا، وتدخل أمير تدمر العربي، حليف الرومان، لطرد الفرس، لانهارت الإمبراطورية كليًا في تاريخ مبكر.

الفصل السابع عشر:

تغير نظام الدولة

عمل الأباطرة على تفادي خيانة العسكر بتناقص ثروات الأفراد ومضاعفة الحرس الإمبراطوري، فظهر فساد من نوع جديد، عكف الأباطرة على الملذات وقبعوا عاطلين تحت رحمة الخدم والأعوان. سرعان ما وجه قسطنطين ضربتين قاضيتين للإمبراطورية: نقل قاعدتها إلى الشرق، إجلاء الكتائب المرابطة على ضفاف الأنهار الكبرى مما سهل اكتساح البرابرة للإمبراطورية.

الفصل الثامن عشر:

اعتناق الرومان مبادئ جديدة

هادن أباطرة روما جيرانهم بالمال عن جبن أو ضعف، إلا أن السلم لا يشترى ويباع بثمن، فالأسلم لأي أمير أن يخاطر بالحرب، وسيحترمه عدوه، مهما قلت فرص النجاح عوض أن يساوم على السلم. احتكر الرومان صناعة الحرب ومنعوها عن الآخرين، وكانت لهم مبادئ بواسطتها قهروا شعوب الأرض، ثم أهملوها فيما بينهم ورسخوها عند غيرهم، وهذه التحولات الجديدة هي التي هدت صرح عظمتهم.

الفصل التاسع عشر:

عظمة أتيلا أسباب توطين البرابرة

انحلت الإمبراطورية الرومانية مع انتشار الديانة المسيحية فتبادل النصارى والوثنيون تهم مسؤولية هذا الانحطاط. اتبع أتيلا نهج قومه القائم على استعباد الشعوب، وبعد وفاته تمكن كل شعب مهما صغر قدره النيل من الرومان، فالإمبراطورية انهارت إثر سلسلة من الغزوات المتتالية، فإن حصل أن معركة واحدة حطمت دولة، فلا شك أن هناك سببًا أعمق عجل بهلاك الدولة. القسم الغربي من الامبراطورية انهار بفعل: اندفاع البرابرة بعد اجتيازهم نهر الدانوب غربًا عندما واجهتم مقاومة محكمة في الشرق، ورفض رومان الشرق مساعدة إخوانهم الغربيين بأسطولهم البحري.

الفصل العشرون:

يوستنيان فتوحاته وحكومته

تعددت النحل الدينية وظلت حية بين القوميات بعد الغزو الروماني، إلا أن يوستنيان وصل به التعصب إلى أن قضى على جميع النحل بحد السيف، وحرم اعتناقها بموجب القانون، فثار ضده أنصارها.

الفصل الواحد والعشرون:

اضطراب حال امبراطورية الشرق

كان الفرس أحسن حظًا من الروم محصنين من جهة الشمال ضد هجمات الهون بجبال الطوروس، ومن جهة الشرق بالبحر، فعدوهم الحقيقي هو الروم، فأعطوا أهمية قصوى لصناعة الحرب التي أهملها الروم، فتفوقهم العسكري جعلهم يفاوضون الروم باستعلاء.

الفصل الثاني والعشرون:

ضعف الإمبراطورية الشرقية

انطلقت الدعوة المحمدية وتمكن أنصارها من اجتياح سوريا وفلسطين ومصر وإفريقيا وبلاد فارس، ليس عامل الحماسة هو الذي يفسر هذه السرعة، بل هناك عوامل أخرى تمثلت أساسًا في أن العرب اعتبروا دائمًا من أجود رماة الأرض، جند الرومان أكبر عدد منهم في حربهم ضد البرابرة الجرمان. فرضت الكنيسة اليونانية الجهل المطبق على أفراد المجتمع، فتمادى الرهبان في استغلال تقوى العامة واحتكروا منابر السلطة، وبذلك زعزعوا دعائم المجتمع الذي ادعوا أنهم اعتزلوه.

الفصل الثالث والعشرون:

لماذا تأخر وكيف تم انهيار الإمبراطورية الشرقية

دامت دولة الروم الشرقية عدة قرون بعد انهيار شقيقتها الغربية، بسبب انشغال العرب عنها بتنازعهم على الخلافة، ودخولهم حروب طويلة مع الفرس، واكتشاف البيزنطيين سلاح النار الإغريقية الحارقة، واحتكار معظم تجارة المعمور بفضل السيطرة التامة على البحر.

خلاصة

تمكن العروي بإخراجه الجديد لكتاب مونتسكيو من اقحامنا في صلب النقاش الدائر حاليًا في كل الوطن العربي، نقاش يرتبط بالسياسة والدستور والدولة والحكم والمشروعية، معتمدًا في ذلك على فراسته كفيلسوف تاريخ وعالم مسكون بقضايا أمته، وما يؤلمها، فأدرك أن الوقت قد حان ليعرب لها كتابًا مليء بالاستنتاجات والعبر التاريخية الصالحة لكل العصور، والتي لا يدركها إلا أولي الأبصار، من حجم مونتسكيو أحد فلاسفة أنوار أوربا خلال القرن الثامن عشر الميلادي. والأكيد أن العروي انتقى كتابه هذا قبيل اندلاع أولى ثورات الربيع العربي، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نقول أن "العروي" أراد بهذا الكتاب وفي هذا الزمان أن يكتب عن واقعنا العربي بالمماثلة، فأبدع، وتمكن من جعلنا نقرأ واقعنا من خلال تجارب شعوب أخرى، لمَنْ أراد أن يعتبر.

دورية إلكترونية. محكّمة. ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449